القيم الجمالية للنقوش الكتابية في الجزيرة العربية قبل الإسلام

إعداد
أمل مصطفي إبراهيم
أستاذ النقد والتذوق الفني المشارك

٢٠٠٩

القيم الجمالية للنقوش الكتابية في الجزيرة العربية قبل الإسلام

مقدمة

شهد العالم العربي تطور في الكتابة خاصة قبل الإسلام ، حيث اتخذت العديد من الأشكال التي تم دراستها أثريا وتاريخيا ، وكانت هذة الدراسات في اغلبها تميل إلي المنهج الوصفي والتاريخي دون دراسة محتواها الجمالي والتوصل إلي مصدر القيمة فيها ، حتى ان بعض الباحثين يؤكدوا أهميتها الأثرية ويرفضون أن يكون لها أي جماليات ، والجماليات التي يقصدها هؤلاء في الأغلب تحمل المعني الكلاسيكي للكلمة وهو ما لا يتناسب والقيمة الفعلية للفنون التراثية وخاصة الكتابات ، لذلك سوف تعتمد الدراسة الحالية علي محاولة التوصل إلي المعايير اللازمة للكشف عن القيمة الجمالية النابعة من النسق البنائية لنقوش الكتابات الصخرية ، والي وضع أسس يمكن من خلالها تحليل تلك الكتابات بطريقة موضوعية لا تعتمد علي استعمال تعاريف محددة تخدم المفاهيم العامة للفن ، وإنما بدراسته كشيء جميل له واقعة في النفس ، وله خصائصه الكامنة فيه والتي يمكن استخلاصها من العناصر الشكلانية والتعبيرية التي تحمل نظاما يعمل علي إيصال التجربة الإنسانية الي الآخرين ، من خلال اكتشاف نوع القيم الناتجة عن العلاقات بين العناصر التي تكون الصيغة الشكلية لأنواع الكتابات ، بهدف الكشف عن جمالياتها الخاصة ومعانيها الدالة الكامنة في البنية الشكلية والتركيب الرمزي لصورتها التي تصل إلي حد التعرف علي النواحي الفكرية والثقافية والاجتماعية لها ، والاستفادة من تلك الأشكال الرمزية كمصدر لإبداع فني يعمل علي تأكيد مفهوم القومية والاختلاف

مشكلة البحث

١- هل يمكن استخلاص معايير جمالية من دراسة الكتابة القديمة كفن له خصائصه المميزة دون الرجوع إلي معايير أي فن أخر

٢- هل تساعد الدراسة الجمالية للنقوش الكتابية في إزالة حالة الشك لدي العديد من المتذوقين حول جماليات الفنون العربية القديمة

فروض البحث

١. للرموز الكتابية في الجزيرة العربية جماليات خاصة يمكن استخلاصها بالدراسة التحليلية

٢. التعرف علي مصدر القيمة في الرموز الكتابية يعد مدخلا لتذوق فنون التراث

أهمية البحث :

١- التعرف علي الرموز الكتابية في الجزيرة العربية قبل الإسلام كموروث حضاري

٢- الكشف عن الخصائص الجمالية للرموز الكتابية في الجزيرة العربية قبل الإسلام

٣- وضع معايير جمالية للرموز الكتابية يمكن الاستفادة منها عند إبداع أعمال فنية معاصرة

حدود البحث : تقتصر الدراسة في البحث الحالي علي ما يلي :

١- الكتابات العربية التي ظهرت علي النقوش الحجرية في الجزيرة العربية قبل الإسلام

٢- دراسة جماليات الكتابة الثمودية من المجموعة الجنوبية والكتابة النبطية من المجموعة الغربية

٣- التحليل الجمالي للنقوش الكتابية دون التعرض للجوانب الاجتماعية أو المعني الحرفي لها

النقوش الكتابية في الجزيرة العربية

من الرسوم علي صخور الجبال بالجزيرة العربية يمكن التعرف علي ما تحمله من رصيد ضخم من الرموز الكتابية القديمة والتي كانت باختلاف أشكالها وتطورها عبر الأزمنة تمهيدا لظهور الكتابة العربية ، فقد كان من بين ما يميز فنون الجزيرة العربية النقش الحجري الذي استخدمه العرب الأوائل " كنوع من اللغة المكتوبة خاصة وان الرسوم يمكن استيعاب محتواها بصريا دون ان تتطابق مع أي من رموز اللغة المتداولة " (مجيد خان – ٨ – ١٢-١٣) و تدل الدراسات الأثرية علي ان الكتابة نشأت وتطورت منذ ما قبل الميلاد في حضارات عديدة مرت بها الجزيرة العربية والتي تعود إلي " أقدم عصور ما قبل التاريخ "(*)(هشام الصفدي-١٤-٢٢١)

(*) مرت الجزيرة العربية بالعديد من الحضارات قبل الإسلام كان منها **الحضارة الالدوانية** وقد تميزت بما كان سائد في تلك الحقبة الزمنية من الأدوات التي كانت تصنع من الحصى الملساء مثل القواطع والمقاشط والأقراص الحجرية.**والحضارة الاشولية** ويشمل هذا العصر عدد من المراحل المبكرة والوسطي والأعلى والتي استمرت من ١٢٠٠٠٠٠ إلي ١٠٠٠٠٠ ق.م ويعتمد هذا التقسيم علي أنواع الأدوات و أحجامها وتتميز الأدوات فيه بثنائية الوجه والمصطبحات الرقيقة الناتجة عن الطرق المتتابع مثل السواطير والأنواع متعددة من المقاشط ثم **حضارة العصر الموستيري** يتميز هذا العصر بأدواته الحجرية المخروطية بشكل مزدوج والمقاشط ذات الحدين وقد انتشرت في العديد من أنحاء الجزيرة العربية أما **العصر الحجري القديم والأوسط والأعلى والحديث** من ٨٠٠٠٠٠الي ٥٥٠٠ ق.م وفيها بدا الإنسان

وتشمل هذه الحضارات العديد من الفنون الدالة علي التطور الثقافي وأنماط الحياة وفلسفة العصر التي وجدت بها ، إلي أن وصلت الكتابة إلي ما هي علية الآن من أشكال الكتابة العربية فقد تنوعت مراحل الكتابة في الجزيرة العربية تبعا للمكان ولمتطلبات الحياة بما تحمله من معلومات وأفكار وهو ما أكده **شارل لالو** في فلسفته " ان الفن يتداخل في سائر نواحي الظاهرات الاجتماعية ولا يمكن ان يبعد تأثيره عن أي باب من أبواب النشاط الإنساني والاجتماعي " (محمد عزيز نظمي سالم – ١٢ – ١٨) ، فقد اتخذت الكتابة في تطورها أشكال عدة ، وفقا للنمط الحياتي للمجتمعات التي ظهرت فيها أو تلك التي انتقلت إليها وهو ما يؤكده **جومبرتش** في النظرية التأثيرية التي تشرح كيفية تأثر الأفراد بالمنتج الثقافي وانتقاله كموروث عبر الأمكنة والأزمنة " أن الفرد يؤثر في الفرد الأخر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وان هذا الفرد يتأثر بما يشاهده ويعيد تمثيله بالرسم مرارا بعد ان يعمل فكرة ويوجه إدراكه البصري إلي الأشياء إلي أن يستقر علي شكل يرضيه.... ويقول أيضا ان للفن أشكال وتكوينات قد يبتكرها أشخاص معنيون ثم تنتقل إلي أشخاص آخرين قد يستخدمونها بالطريقة نفسها بعدما يضيفون إليها أو يعدلون فيها"(خالد أبو شعيرة –٣– ٦٥) وكانت الكتابة في الجزيرة العربية

يتجه إلي الاستقرار وزراعة الأرض وصناعة الفخار وهو تغيير تبعة تغيير في استخدام الأدوات" فظهرت أدوات الطحن وصيد الأسماك وأدوات الزينة والخرز ورؤوس السهام وتميزت هذة الأدوات بالإتقان "(هشام الصفدي– ١٤ –٢٢٧) ثم **ما بعد العصر الحجري** الذي ارتبط الفن فيه بالتغير في نمط المعيشة حيث ظهرت المستوطنات المدنية والمدن ذات الأسوار هذا غير الممالك العربية ما قبل الإسلام والتي تمتد ما بين الألف السادسة ق.م إلي حوالي القرن الرابع م وتشمل : الممالك العربية القديمة ، الوسيطة ، المتأخرة .

من أصل مجموعتين من اللغة السامية هي المجموعة الجنوبية والمجموعة الغربية

المجموعة الجنوبية:

أنشأ سكان الجزيرة العربية حوالي سنة ١٠٠٠ق.م نمطا من الكتابة الأبجدية لها صلة باللغات السامية التي كانت سائدة في الشرق وأخذت هذة اللغة في التطور علي طوال طريق القوافل التجاري إلي الشمال ، وكان نتيجة التفاعل الذي جري بين الكتابات الشمالية والجنوبية ولا سميا السبئية التي وجدت في وادي ماسل والدوادمي والمعينية التي وجدت أمثلة منها في مدائن صالح وعسير ونجران وهو الذي ساعد في إنتاج العديد من أنواع الكتابات في شمال الجزيرة العربية مثل التيمائية والجوفية والليحانية و الدادانية التي اكتشفت في مدائن صالح وتيماء وتبوك وما جاورها من المناطق وكتابات شرقي الجزيرة العربية مثل الحسائية التي اكتشفت في القطيف ورأس التنور وغيرها من المناطق وأنواع عديدة من الكتابات الثمودية التي عثر عليها في أماكن مختلفة من معظم أرجاء الجزيرة العربية مثل واحة الجوف والدوادمي والمنطقة الشمالية لذلك سمي هذا النمط من الكتابة بكتابة البادية

المجموعة الغربية (الكتابة السامية الارامية)

انتقل الخط الأرامي من منطقة بلاد الشام إلي الجزيرة العربية ثم استعمله الأنباط منذ حوالي القرن الرابع ق.م لكنهم أضافوا إلية الجديد بوصل الحروف بعضها ببعض ثم تطور تطورا ملحوظا إلي ان أصبح قريب الشبة بالخط الكوفي وهناك رأي أن الخط الأرامي تطور إلي أن اتخذ شكل الكتابة العربية في الوقت الحاضر بينما هناك رأي أخر يؤكد أن " الخط العربي قد اشتق من

الخط النبطي بل هو آخر شكل من ذلك الخط "(*) (جواد علي-٢- ٤١) ورغم الاختلاف بين الطرق والأساليب في شكل الكتابة في البلدان التي انتشر فيها إلا أنها جميعا من أصل واحد فهذا الاختلاف إنما كان انعكاس للبيئة التي كتب فيها الخط " إن كل خط عكس المجتمع الذي ظهر وازدهر فيه أو الحضارة التي شعت في ذلك العصر وقد يعكس الخطاط هذا كله دون تعمد أو قصد لأنة أصبح شيئا ينبع من عقلة وقلبه ويجري مصورا علي يده بحرية تامة ، تظهر تلك الانعكاسات المختلفة انعكاسات شخصية الفنان وانعكاسات البيئة والحضارة والثقافة ولا يقيدها إلا القواعد العامة للخط" (صلاح الدين المنجد -- ٥ -- ١٠)

الشكل الفني والدلالي للنقوش الكتابية بالجزيرة العربية

اتخذت نقوش الكتابات الأشكال الهندسية التي ظهرت كعلامات رمزية في مراحل متعاقبة تدرجت من البسيط إلي الأكثر تعقيدا في اتجاهات متعددة منها ما تم اختزاله في خطوط لتبسيط الشكل سواء المرسوم أو المكتوب ولكنه جاء في نظام بنائي واقعي أو مبسط ، وقد ظهرت هذة النقوش في اغلب مناطق الجزيرة العربية بالقرب من مساكن البدو ومخيماتهم " وان كانت النقوش مختصرة وتتغير من مكان إلي آخر إلا أنها وجدت في معظم مناطق الجزيرة

(*) الخط النبطي كتبة الانباط وهم من العرب أغاروا في العصر الهليني علي البلاد الارامية في فلسطين وجنوب الشام إلي ان وصلوا إلي الجزيرة العربية وقد تأثر الانباط بالحضارة الارامية ولكنهم ما لبثوا ان تخطوا هذة الحضارة وابتدعوا حضارة جديدة بالقرب من مساكن البدو ومخيماتهم ولعل مبانيهم الضخمة في مدائن صالح هي من بعض أثار تلك الحضارة

اهالعربية(*)" (المهرجان الوطني للتراث والثقافة الثامن -١ -٧ -١٠) وقد تم نقش هذة الكتابات علي الصخور في رسوم منفصلة أو متممة للنقوش المرسومة ومكملة للفكرة المراد التعبير عنها وتؤكدها ، فوجدت مع رسوم لحيوانات مختلفة ممن كانت موجودة في ذلك العصر

هذا إلي جانب وجودها مع الأشكال الأدمية والنباتات والطيور التي تظهر بشكل واقعي أو رمزي (شكل ١) ذلك باستخدام عدة تقنيات منها : النقر والحز والحت الخفيف علي سفوح الجبال وهي تقنيات تساعد في توليد تأثيرات التظليل وتساعد علي تحديد البعد الزمني للنقوش من خلال التعرف علي سطح الصخر المكحوت ذا اللون الأبيض والذي يتحول بمرور الزمن ليكون كمخه أو طبقة متأكسدة رقيقة تكون دليلا يساعد علي تحديد نسبي لزمنها إلي جانب استخدام تقنيات الرسم علي ملاط الجدران باستخدام الألوان مع بعض الكتابات ويلاحظ ان هناك هذه التقنيات مشتركة بين النقوش في جميع أنحاء الجزيرة العربية إلا إنها تختلف في الموضوعات فقد عني الفنان العربي في شبة الجزيرة العربية برسم مشاهداته في الحياة اليومية وتخيلاته في لوحات فنية تختلف في جودتها وإتقانها من مكان لآخر حسب ظروف المجتمع ومستوي الفنان ومدي قدرته

(*) وجدت في **المنطقة الوسطي** : منطقة الخرج وافلاج وفي الخماسين في واديّ الدواسر وربما يرجع تاريخها إلي الألف لخامس – الثالث ق.م – **المنطقة الشمالية** : وتشمل أقدم مدن الجزيرة سكاكا وموقع جبة الذي يعتبر اكبر موقع للنقوش الصخرية في الجزيرة العربية حتى اليوم – **المنطقة الشمالية الغربية** : عثر علي عدد كبير من النقوش والكتابات تتراوح زمنيا بين أوائل العصر الثمودي والنبطي إلي العصر الكوفي الإسلامي – **المنطقة الجنوبية الغربية** : تم العثور علي ٣١ موقعا اغلبها في منطقة بئر حما – **المنطقة الغربية** : عثر علي عشرون موقعا أهمها ما وجد بمنطقة عسير (هشام الصفدي وآخرون – ١٤ – ٢٣٦ -٢٤١

علي نقل ما شاهده أو تخيله " (عبد الرحمن الأنصاري - ٧ -٢٤)وقد اتخذت الكتابة أولا شكل الصورة المرسومة بشكل إيحائي وتمثيلي في أولي المراحل حيث كانت هي الوسيط التعبيري عند تدوين الأشياء المراد التعبير عنها ثم بدأ تبسيط الصور إلي أن تم التوصل إلي الأشكال المجردة لتكتسب صفة الرمزية ذات الدلالات المتعارف عليها من قبل الجماعة (شكل ٢) ، حيث كان يرسم صورة الشيء المراد كتابته بهيئة مختصرة ، وتكون رموز الكلمات مركبة يرتبط فيها الشكل بالمعني وليس بالشكل المرسوم و يصبح الدور هنا للإيحاء والإشارة الدلالية وبذلك أصبحت صفة الأشياء لها مدلولها الرمزي الذي يتفاعل مع الأفراد ليصبح جزءاً من ثقافة مجتمع مثل الرمز للأبيض بصورة شمس بازغة فيما عبر بالأسود عن الليل وبذلك أصبحت " الرموز لغة تواصل لتكوين العلاقة بالآخرين وهو الدافع للجمع بين الصورة كما هي والرموز المبسطة " (هشام الصفدي- ١٤- ٣٩٢) وتعد النقوش الحجرية للكتابات أول عملية تسجيل معلومات واتخذت كدليل يعبر عن ثقافة المجتمع إذ أن الفن في الجزيرة العربية وخاصة النقوش الحجرية للكتابات لها أبعاد يمكن من خلالها البحث في الأساس الموضوعي للثقافة وتحليلها باعتبارها سلسلة من الأنساق الرمزية تجتمع لتظهر في نظام شكلي وجمالي يتغير بتغير الثقافة المؤثرة فيه فنلاحظ من خلال دراسة هذه النقوش الملامح المعبرة عما هو أساسي وجوهري لثقافة تلك المرحلة إذ أن العديد منها استعاض عن محاكاة الشكل في الطبيعة بالرموز لتحل الفكرة محل تمثيل الطبيعة من خلال التبسيط والتركيز علي الخصائص المميزة كنسق نظامي يفصح عما يكمن وراءه من ظواهر وعلاقات تزخر بها الحياة اليومية ويحملها الدلالة علي شيء ما .

الأساليب الفنية للكتابة الثمودية والنبطية

يقول **كلايف بل** في شرحه للشكل العاني significant form" في كل شيء يمتزج الخط بالألوان بطريقة فريدة وتداعب عواطفنا الجمالية أشكال وعلاقات

للأشكال الجمالية المتحركة أسميها الشكل العاني هو الخصيصة الوحيدة المشتركة في أعمال الفنون البصرية كافة " (نائان نوبلر – ١٣– ٣٤)

وقد جاءت الكتابات العربية علي اختلاف أنواعها علي استخدام الخط كعنصر فني بما يحمله من إيحاءات ترتبط بظهور تأثيرات تميز شكل الكتابات سواء المصورة أو المجردة فتنوع الخط بين الرأسي الذي يرمز إلي القوي النامية ويثير في النفس أحاسيس القوة والصلابة ، والأفقي الذي يوحي بالثبات والهدوء والاستقرار إلي جانب الخطوط المائلة التي توحي بالحركة وقوتها وفقا لدرجة الميل ، إلي جانب الحركة من الوحدة الصغيرة إلي التصميم أو الشكل ومن الشكل إلي الأشكال الأخرى التي تشكل في مجموعها مجالا متصلا للرؤية وبقدر ما يستخدم من خطوط تحرك العناصر بقدر ما تصبح الحاجة ماسة إلي بذل مجهود للتوصل إلي القيمة المستترة وراء حركة العناصر داخل الشكل (شكل ٣) وهنا حملت الكتابة مهمتين الأولي الدلالة البصرية المقروءة والثانية التعبير الجمالي وهو تعبير وان لم يكن مقصودا في ذاته إلا أن ناقش هذه الكتابات علي الصخور محمل بما فطر علية من إحساس واع بالجمال " في الماضي لم تكن تخلو اهتمامات الإنسان سواء أكانت عملية أم معرفية من إثارات جمالية وكذلك كانت خبرات الإنسان تثير موضوعات معرفية " (محسن عطية – ١١–٢٤) وعلية كانت هذة المحاولات التي استهدفت الكتابة تجمعت في مضمونها بين اللغة المقروءة وجماليات الشكل المكتوب

<u>الكتابة الثمودية</u>

تميزت فيها الخطوط بطاقتها الانفعالية فجاءت في شكل رمزي تجريدي تبعد عن الدلالة البصرية وقد ظهرت الكتابات بأسلوب يميل إلي البدائية البسيطة والتلقائية سواء في شكل الخط العضوي الذي كتبت به بعض الأحرف أو الخط الهندسي الذي كتب به البعض الآخر(شكل ٤) أو في تقنية التنفيذ والأداء غير المستوي والتي تكثر فيه التعرجات التي تظهر في الوحدات الكتابية التي تمثل

أحرف الكلمات ، وقد جاءت هذه الوحدات بأسلوب متقطع ، وبين الحرف والآخر فراغ يمتد ليتصل بالحرف الأخر عن طرق الاتصال البصري فيما بين الأحرف ، وعندما جاءت هذه الكتابات متممة للرسوم الصخرية لم تمتزج مع مساحات الشكل ولكنها صورت في شكل يتناسب مع الخط الخارجي للشكل المرسوم (شكل ٥)

الكتابة النبطية

كانت الكتابات النبطية قائمة علي الشكل الرمزي المجرد من الدلالة البصرية أيضا لكنها كانت أكثر تطورا ، فكانت موزعة علي السطح الحجري بأسلوب متداخل بشكل غير منتظم في سطور معتدلة أو مائلة ولكن يوجد بينها هذا الترابط الذي يحدثه التداخل بين الخطوط ذات الاتجاهات المتعددة لتوحي من خلال الحركة والإيقاع بنظام هندسي ذى هيئة جمالية تنبعث من التنظيم الفطري للأشكال المبسطة والخطوط الهندسية (شكل ٦) فتحمل العديد من المعاني مثل الثبات والهدوء والاستقرار تلك المعاني التي تشبع الحاجات الجمالية البسيطة والكثيفة والمباشرة ، إلي جانب ما لها من بعدها الذهني القائم علي التناسق والتوازن وما تتميز به من الدقة والبساطة والأناقة كقيم جمالية دون أحداث مبالغات في النمط الشكلي ولكنها في ذات الوقت تغيير من الإيقاعات والتوافقات من اجل ان تمثل نسق تتصف بالوحدة والتنوع الشكلي الذي يحول الكتابة من مجرد خط مكتوب إلي كونه عمل فني له تلميحاته العضوية ككتابة مقروءة ، وعاطفية كشكل جمالي يحمل من القيم ما يميزه عن أي عمل فني أخر

القيمة الجمالية للنقوش الكتابية

بالـرغم من الشكـل البدائي التي ظهـرت علية الكتابات سواء الثمودية أو النبطية ، إلا أنها تحمل مجموعة من الجماليات التي نتجت عن القيم التعبيرية التي يشعر بها المتذوق ومنها الاستمتاع بالمعاني الرمزية التي ميزت المفردات

ويتحقق هذا الاستمتاع " بفضل المشاركة العاطفية بين المتذوق والعمل الفني ويتوصل المتذوق بالتعاطف الرمزي والخيالي إلي الشعور بخفة بعض الأشكال أو بثقلها أو بقوتها أو بحدتها " (محسن عطية – ٩- ٦٣) إلي جانب ما للكتابات من مجموعة قيم تعني بالخصائص التي تثبت جودة العمل الفني وأهمها الأصالة بما تعكسه من مضمون وفكر وفلسفة سواء تحقق ذلك في نفس الفترة الزمنية التي أنتج فيها أم بعد فترة زمنية فالأصالة في الكتابات صفة تحمل نوعا من الثبات تستمده من الفطرة الطبيعية والتلقائية التي تتميز بها شخصية الفنان وهذه التلقائية إنما هي دليل امتزاج العناصر المرئية التي يشاهدها وتتحول إلي أشكال تختلف عن الواقع ، بالإضافة إلي تحقيق المتعة لدي المشاهد والتي تنشأ عن اكتشاف صفاته النوعية ، وتستند أحكام القيمة إلي معايير تنسب إلي الكتابات ذاتها وهي تتغير مع تغيير المعايير الجمالية السائدة التي تناسب العصر التي أنتجت فيه والعصر الذي تشاهد فيه في ذات الوقت فليس هناك معيار ثابت في مجال الجمال ، فالعمل الفني يستوعب أهدافاً ترتبط بالفنان وعلاقته بالمجتمع وبالقيم الاجتماعية ويتوقف فهم العلاقة بين الشكل البصري ومعناه الجمالي علي ما يعكسه الشكل من قيم يضيفها الفنان أو يضفيها المشاهد من عنده وتكون دافعا لاستقبال العمل واستحسانه وتكون الأشكال والعناصر هي وسيط إيحائي أي أن العناصر الفنية لا تعتبر قيمة في ذاتها إنما " تتحقق القيمة بفضل العلاقة بين الصفات التشكيلية و الطاقة الإبداعية التي هيأت لظهور تأثير تشكيلي في داخل العمل الفني بحيث يستجيب التأثير التشكيلي لخيال الفنان ويظهر بصورة جديدة وغير اعتيادية بل غير مستهلكـــة كرؤية تجسد قيم قد تولدت في خيال الفنان أثناء تعامله مع النشاط الذهني و الروحي والعاطفي مع حياته الخاصة " (محسن عطية – ١٠- ٢٣) وبذلك تبقي جميع عناصر الفن بلا قيمة حتى يتناولها الفنان من خلال مضمونة الخاص ويستقبلها المتذوق بما يعكسه أيضا من مضمون خاص الذي قد يتوحد مع مضمون الفنان

وفي اغلب الأحيان يختلف عنه وقد تراجعت مع المفاهيم المعاصرة للفن والجمال المعاني التقليدية للقيمة لتكتسب معايير جديدة يستخلصها المتذوق من العمل الفني وما يعكسه من ضرورة تقبل الواقع الحافل بالمتناقضات وتعددية المعني التي تنتج عن تعددية الظواهر والأفكار التي تنشأ ضمن ثقافة العصر بحيث تجعل الفن مفهوما ، فقد ترتبط تلك القيم بالبحث عن النبل والجمال أو إضافة مسحة مشرقة من خلال التأمل ، وأحيانا ترتبط بالنقاء والسمو أو اكتشاف الجوانب غير المعتادة من الحياة أو تشبع أحاسيس عاطفية أو تعمل علي البحث عن الموروث وما يحمله من معاني الأصالة....وذلك يتم وفق ما يتضمنه العمل من إشارات لصفات جمالية مثل هادئ أو حيوي أو نشيط أو مأسوي أو ما يحمله من قيم اجتماعية أو تاريخية تشكل جزءا من الثقافة والحياة الاجتماعية وإعادة الاعتراف بقيمها التراثية وتتحدد القيمة الجمالية للكتابات الثمودية والنبطية عندما تتخلص العناصر الكتابية من الوظيفة الأدائية التي كتبت من اجلها والتعامل معها كعناصر فنية أو كنشاط فني يصفه **جورج سانتيانا** بأنة " لا يتجلي علي حقيقته إلا حينما تختفي مطالب الحياة الملحة وضرورات التكيف العاجلة " (زكريا إبراهيم – ٤– ٧٢) " وهنا تكتسب الكتابة وظيفة أخري هي الإمتاع بالتركيب الفني لها والذي يستشعر فيه المشاهد بالجمال الذي يقوم علي نقل اسمي القيم والأفكار والمشاعر بأسلوب مؤثر وهنا لابد من طرح مشاكل البنية الأكاديمية للعمل الفني لأنها تكشف عن رؤية خاصة تستدعي جمالية ذاتية ترتبط بالصورة البحتة الناتجة عن العلاقة بين العناصر والمكونة للقيم التي توحي بدورها بما تحمله من قيم تعبيرية وجمالية ويكون التأمل في هذة الحالة تأمل موضوعي يتخلص من الحكم الجمالي المرتبط بمدي تحقيق قواعد الفن إلي حكم جمالي يستخلصه المشاهد من الاستمتاع بقيم العمل التي يستوحيها منة ويضيفها إليه والتي تتناسب ومفاهيم إعادة قراءة الموروث الفني لإبداع أعمال

فنية معاصرة تتناسب وتحقيق مفهوم الربط بين الأصالة والمعاصر ويمكن إيجاز القيم الجمالية للنقوش الكتابية في الجزيرة العربية فيما يلي :

١- التخطيط البسيط الذي تظهر فيه الأشكال رغم ما هي علية من تركيبات شكلية

٢- تحقق الأشكال والخطوط متعة بصرية بفضل اقتراب أشكالها من الحياة

٣- الجمع بين العضوي والهندسي يعطي إحساس التناقض بين الوضوح والغموض

٤- الاستمتاع الجمالي علي المستوي الفطري الأصيل الذي يتحقق من وحدة الطابع البسيط

٥- الاستمتاع بالقيم الحسية للخط والشكل الكلي دون الحاجة إلي فهم المحتوي أو الدلالة

٦- للخطوط إيحاءات نفسية ورمزية بالإضافة إلي قيمتها الجمالية

٧- للخطوط إمكانات فراغية وطاقة ونشاط تشعر بالتكاثر والنمو

٨- الإحساس بسهولة حركة الخطوط وبحيوية انتقالها بحرية

٩- الجمع بين مبدأي الوحدة والتنوع ، الوحدة التي تجمع بين أشكال المفردات وتنوع استخداماتها علي المسطح الحجري

١٠- المعاني الرمزية للكتابات لها أبعادها الجمالية عندما تربط بين العناصر الشكلية في العمل الفني والمشاعر الإنسانية

١١- الإحساس بالثراء الشكلي بفضل التعارض والتباين في اتجاهات الخطوط والأشكال وتداخلاتهما

ويمكن أن نحدد مصدر القيمة في النقوش الكتابية قبل الإسلام في الجدول الأتي :

القيمة	المصدر في النقوش الكتابية
الخطوط	تركيبات شكلية من الخطوط العضوية والهندسية
الرمزية	تجريد الشكل وتحميله الشعور بالخفة أو الثقل أو بالحده والقوه
البساطة	في الشكل والأداء والمعني الشكلي
الحيوية	في الخطوط وحركتها وارتباطها في أصلها بالشكل في الحياة
التناقض	بين العضوية والهندسية التي توحي بالوضوح والغموض
الفطرية	التي تؤكد الأصالة التي تتحقق من وحدة الطابع البسيط
الوحدة والتنوع	التنوع في شكل المفردات والوحدة في الإحساس الناتج عنها
الحرية	في الأداء وتوزيع المفردات

نموذج يوضح مصدر القيمة الجمالية للنقوش الكتابية في الجزيرة العربية قبل الإسلام

مما سبق نستخلص أن

١- الرموز الكتابية لم تهدف عند إبداعها إلي الجمال كقيمة في ذاته

٢- للكتابات قبل الإسلام قيم جمالية ارتبطت بالقيم التعبيرية التي تتحلي بها

٣- اتخذت الرموز الكتابية في النقوش الصخرية أشكالاً تجريدية يمكن استخدامها كمفردات تشكيلية عند إبداع أعمال فنية معاصرة

٤- الجمال في النقوش الكتابية ناتج عن الإحساس بالفطرية والبساطة والأصالة فيها

٥- أن مجموعة القيم الجمالية الناتجة عن تحليل الكتابات الثمودية والنبطية هي قيم يؤكد عليها الفن التشكيلي في المفهوم والمعني

٦- أن الاستفادة بالأشكال الفنية للنقوش الكتابية يعد مدخلا لتدريس المقررات الفنية المرتبطة بالتراث في كليات الفن

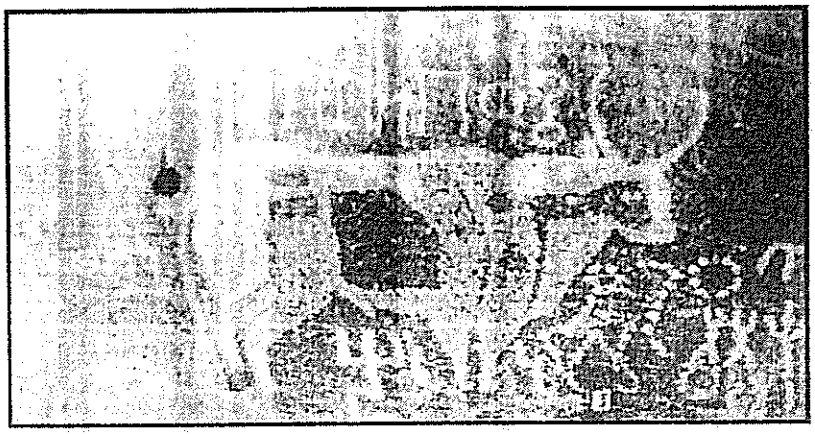

شكل (١) امتزاج الشكل الحيواني مع الكتابات الثمودية

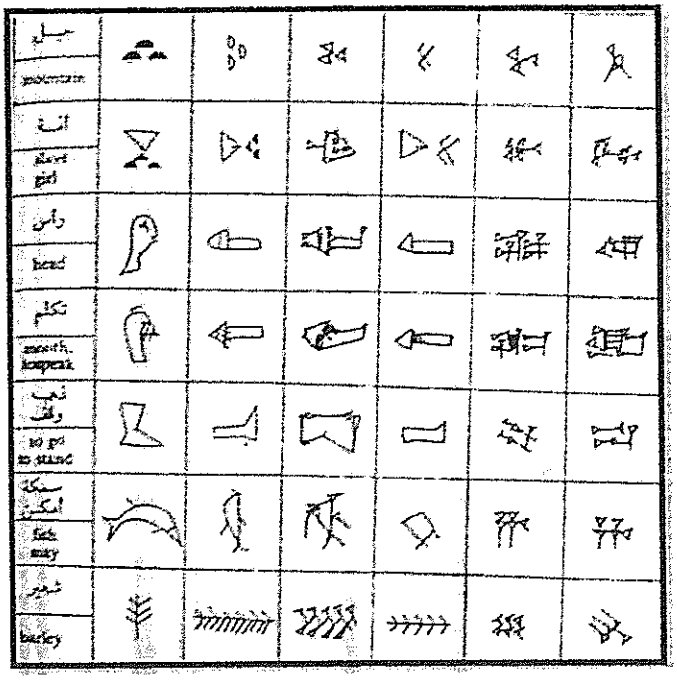

شكل (٢) تبسيط الصورة من الشكل الواقعي إلي الشكل الرمزي المجرد

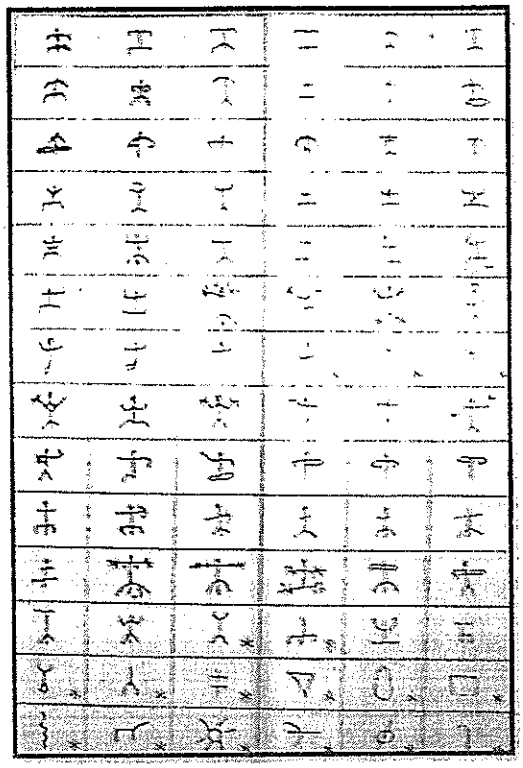

تابع شكل (٢) الرموز الكتابية المنقوشة علي الصخور الجزيرة العربية

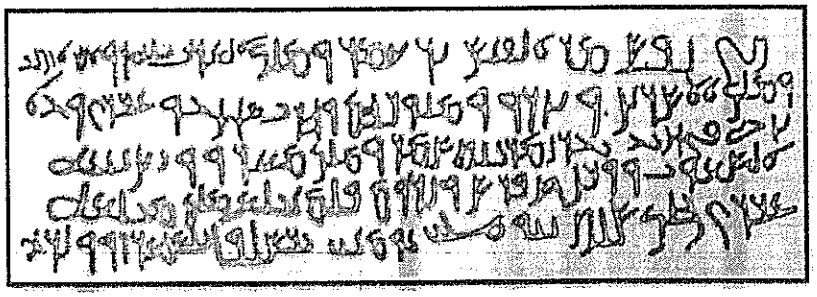

شكل (٣) العلاقة بين أنواع الخط الرأسي والأفقي في الكتابة العربية

كتابة عربية نبطية تسمي (نص نماره) علي قبر امرئ القيس

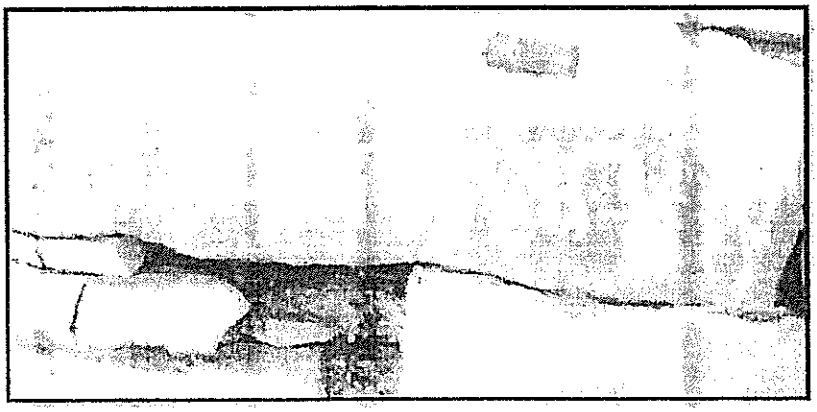

شكل (٤) كتابات ثمودية بالمنطقة الشمالية بالجزيرة العربية

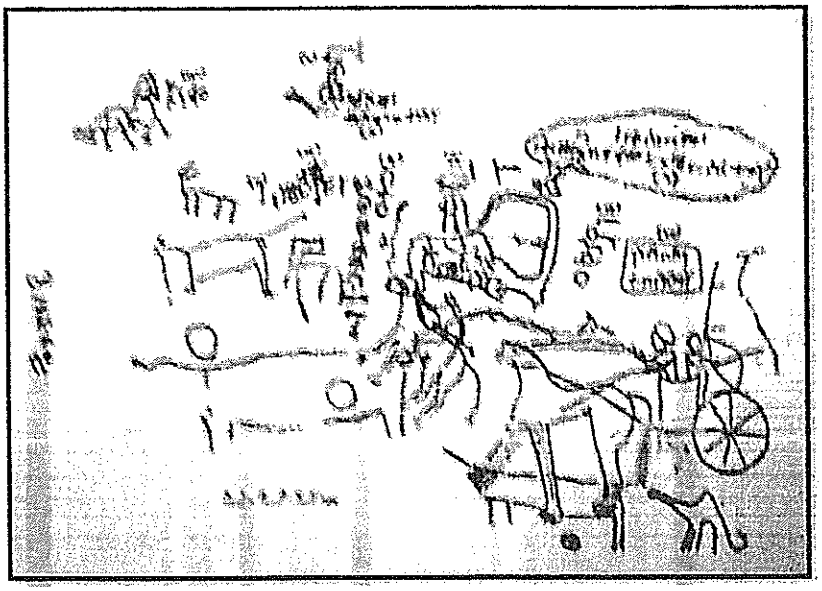

تابع شكل (٤) نقوش صخرية لكتابات ثمودية في وادي تمار بالجزيرة العربية

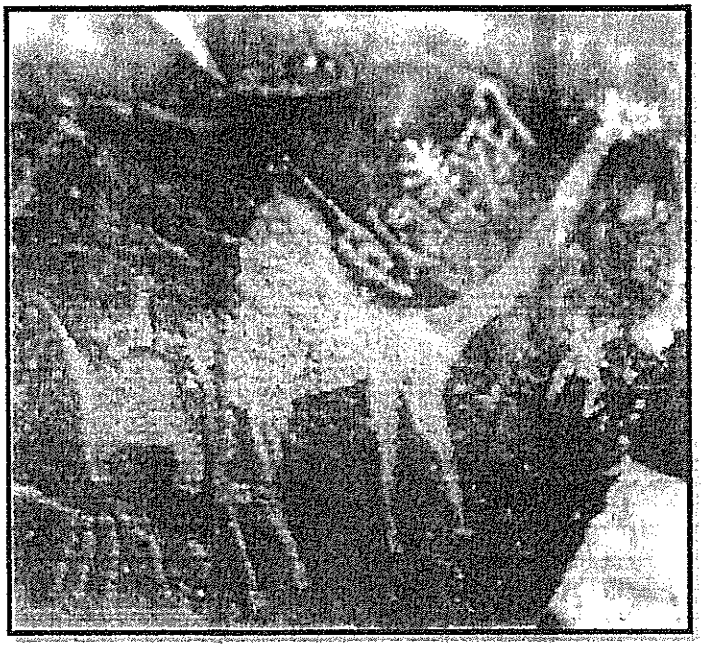

شكل (٥) الامتزاج بين الشكل الحيواني والكتابة الثمودية

تابع شكل (٥) كتابات ثمودية مصاحبة لأشكال أدمية

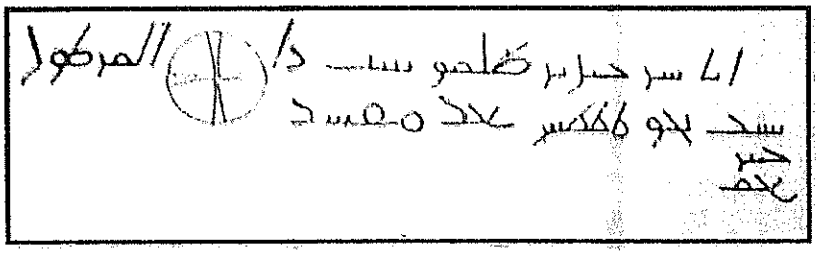

شكل (٦) كتابة عربية بالخط النبطي (نص حران)

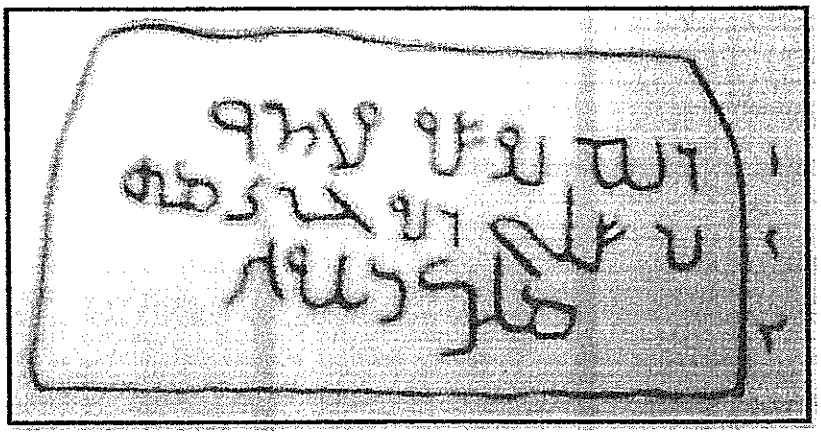

تابع شكل (٦) نقش للكتابة بالخط النبطي علي قبر فهر في أم الجمال

تابع شكل ٦ – كتابة بالخط النبطي (كتابة زبد)

المراجع

١. **المهرجان الوطني للتراث والثقافة الثامن** : ندوات في الفن التشكيلي – الرياض – ١٩٩٤

٢. **جواد علي** : الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – ط ٢ – جامعة بغداد – بغداد – ١٤١٣

٣. **خالد أبو شعيرة** : المدخل الي التربية الفنية – دار جرير للنشر والتوزيع – عمان – ٢٠٠٦

٤. **زكريا إبراهيم** : فلسفة الفن – فلسفة الفن في الفكر المعاصر – القاهرة – مكتبة مصر – ١٩٧٦

٥. **صلاح الدين المنجد** : تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلي نهاية العصر الأموي – دار الكتاب الجديد – بيروت – ١٩٧١

٦. **عبد الله سعيد السعيد** : نقوش ثمودية من تبوك – مجلة الدارة – عدد ٤ – الرياض – ١٤٢٤

٧. **عبد الرحمن الأنصاري** : قرية الفاو صورة للحضارة العربية مثل الإسلام في المملكة العربية السعودية – جامعة الرياض – الرياض – ١٤٠٢

٨. **مجيد خان** : نشأة وتطور الكتابة في الجزيرة العربية – ت : عبد الرحمن الزهراني – الرياض – وزارة المعارف – ١٤١٣

٩. **محسن عطية** : التحليل الجمالي للفن – عالم الكتب – القاهرة – ٢٠٠٢

١٠. **محسن عطية** : نقد الفنون – منشاة المعارف – مصر – ٢٠٠٢

١١. **محسن عطية** : مفاهيم في الفن والجمال – عالم الكتب – مصر – ٢٠٠٥

١٢. **محمد عزيز نظمي سالم** : علم الجمال الاجتماعي – دار المعارف – مصر – د.ت

١٣. **ناثان نوبلر** : حوار الرؤية – ت : فخري خليل – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – ١٩٩٢

١٤. **هشام الصفدي و آخرون** : الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي – مكتب التربية العربي لدول الخليج – بيروت – ١٩٨٨

مراجع تم الاستفادة بها

سليمان الذييب : دراسة تحليلية للنقوش الارامية القديمة – مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض – ١٤١٤

عبد الله سعيد السعيد : حضارة الكتابة – مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض – ١٤٢٣

دليل المتحف الوطني : إصدارات المتحف – الرياض

ملخص البحث

"القيم الجمالية للنقوش الكتابية في الجزيرة العربية قبل الإسلام"

د:/ أمل مصطفى إبراهيم

أستاذ النقد والتذوق الفني المشارك

مقدمة :

تتميز الجزيرة العربية بالعديد من الفنون الدالة علي التطور الثقافي وأنماط الحياة وفلسفة العصر التي وجدت بها ، ومنها الرموز الكتابية التي تطورت لتصل إلي ما هي علية الآن من أشكال الكتابة العربية ، فقد تنوعت مراحل الكتابة في الجزيرة العربية تبعا للمكان ولمتطلبات الحياة بما تحمله من معلومات وأفكار ، و تعد الرموز الكتابية أول عملية تسجيل معلومات اتخذت كدليل يعبر عن ثقافة المجتمع في الجزيرة العربية باعتبارها سلسلة من الأنساق الرمزية تجتمع لتظهر في نظام شكلي وجمالي يتغير بتغير المؤثرات الخارجية ، التي ادت الي البعد عن محاكاة الشكل واستخدام الرموز لتحل الفكرة محل تمثيل الطبيعة من خلال التبسيط والتركيز علي الخصائص المميزة لها كنسق نظامي يفصح عما يكمن وراءه من ظواهر وعلاقات تزخر بها الحياة اليومية ، وبالرغم من الشكل البدائي التي ظهرت علية الكتابات سواء الثمودية أو النبطية محور الدراسة ، إلا أنها تحمل مجموعة من الجماليات التي نتجت عن القيم التعبيرية التي يشعر بها المتذوق ومنها الاستمتاع بالمعاني الرمزية التي ميزت المفردات ، إلي جانب ما لها من قيم تعني بالخصائص التي تثبت جودتها كعمل فني وأهمها الأصالة التي تعد صفة تحمل نوعا من الثبات تستمده من الفطرة

الطبيعية والتلقائية التي تتميز بها ، وتستند أحكام القيمة للكتابات الي معايير تنسب الي الكتابات ذاتها ومع تطبيق المفاهيم المعاصرة للفن والجمال تكتسب الرموز الكتابية معايير جديدة يستخلصها المتذوق من العمل الفني وما يعكسه من ضرورة تقبل واقع ما هي علية وذلك يتم وفق ما تتضمنه من إشارات لصفات جمالية مثل هادئ أو حيوي أو نشيط أو ما يحمله من قيم اجتماعية أو تاريخية تشكل جزءا من الثقافة والحياة الاجتماعية وإعادة الاعتراف بقيمها التراثية ، وتتحدد القيمة الجمالية للكتابات الثمودية والنبطية عندما تتخلص العناصر الكتابية من الوظيفة الأدائية التي كتبت من اجلها والتعامل معها كعناصر فنية أو كنشاط فني لتكتسب وظيفة أخري هي الإمتاع بالتركيب الفني لها والذي يستشعر فيه المشاهد بالجمال وهنا لابد من طرح مشاكل البنية الأكاديمية لها لأنها تكشف عن رؤية خاصة تستدعي جمالية ذاتية ترتبط بالصورة البحتة الناتجة عن العلاقة بين العناصر المكونة للقيم التي توحي بدورها إلي جانب ما تحمله من قيم تعبيرية وجمالية ، ويكون التأمل في هذة الحالة تأمل موضوعي يتخلص من الحكم الجمالي المرتبط بمدي تحقيق قواعد الفن الي حكم جمالي يستخلصه المشاهد من الاستمتاع بقيم العمل التي يستوحيها منة ويضيفها إليه والتي تتناسب ومفاهيم إعادة قراءة الموروث الفني وفق المفاهيم الجمالية المعاصرة

ويمكن إيجاز القيم الجمالية للنقوش الكتابية في الجزيرة العربية فيما يلي:

١. التخطيط البسيط الذي تظهر فيه الأشكال رغم ما هي علية من تركيبات شكلية
٢. تحقق الأشكال متعة بصرية بفضل اقتراب أشكالها من الحياة

٣. الجمع بين العضوي والهندسي يعطي إحساس التناقض بين الوضوح والغموض

٤. الاستمتاع الجمالي على المستوي الفطري الأصيل الذي يحقق وحدة الطابع البسيط

٥. بالقيم الحسية للخط والشكل الكلي دون الحاجة إلي فهم المحتوي أو الدلالة

٦. للخطوط إيحاءات نفسية ورمزية بالإضافة إلي قيمتها الجمالية

٧. للخطوط إمكانات فراغية وطاقة ونشاط تشعر بالتكاثر والنمو

٨. الإحساس بسهولة حركة الخطوط وبحيوية انتقالها بحرية لجمع بين مبدأي الوحدة والتنوع

٩. الوحدة التي تجمع بين أشكال المفردات وتنوع استخداماتها على المسطح الحجري

١٠. المعاني الرمزية للكتابات لها أبعادها الجمالية عندما تربط بين العناصر الشكلية للعمل الفني والمشاعر الإنسانية

The Summary of the Research

The Athetic Values of the Pre – Islamic Inscriptions In the Arab Peninsula

The Symbols used in inscription were the first action of the society in the Arab Peninsula. They were a symbolic sequence that could be grouped to form aesthetic patterns that changed depending on the outer influences. This led to giving up the imitation of forms or shapes and the use of symbols. So the ideas replaced the imitation of nature through the simplification and emphasis on their characteristics as a systematic order that revealed its implicate phenomena and relations the daily life teemed with.

In spite of the primitive appearance of the thamudian or Nabati inscriptions – the focus of the study, they had a variety of aesthetical values resulting from the expressionistic values fell through appreciation and enjoyment of the symbolic meanings of words – in addition to their values which stressed on those features that proved their quality as a work of art – the most remarkable was authenticity which was a quality of some kind of constancy or stability stemming from its natural instinct and spontaneity.

By the application of contemporary artistic and aesthetical concepts the symbols of inscription acquire new criteria that are derived through appreciation of the work of art as it is in reality. This can be achieved depending on the aesthetic implication such as calm, active or full of life which it included within the work of art as well as the social and

historical values it bears which form a part of culture and social life and the re – recognition of its traditional values.

The aesthetic value of the Thamudian and Nabati inscriptions are determined when they getrid of their functions they were used to perform and they are dealt with as artistic elements or and artistic activity so that they may acquire another function that is the admiration of their artistic structure. through which the viewer feels beauty. In this respect the problems of the academic structure must be discussed because it reveals a particular vision requiring self aestheticism related to the sheer image resulting from the relations between the elements of values which reveal its role in addition to its expressionistic and aesthetical values.

Contemplation in this case is objective stripped of aesthetical evaluation or rules which depend on the achievement or application of the rules of art to them which the viewer derives from the pleasure he feels in the values of the work which it inspires him and conform to the concepts of the re – reading and re – evaluation of the artistic heritage according to the aesthetical contemporary concepts.

The aesthetic values of the inscriptions in the Arab Peninsula can be summed up in the following points:

1. he simple form of the symbols in spite of their intricate shape.
2. The symbols achieve visual enjoyment as their forms are close to life.
3. The mixture of the organic and the geometrical results in the feeling of contrast between clearity and ambiguity.

4. The aesthetical enjoyment at the authentic instinctive level which achieves the unity of the simple nature.
5. The sensitive values of inscription and the whole appearance without the need to the perception of the content or the meaning.
6. Inscriptions have psychological and symbolic implications as well as their aesthetic value.
7. Inscriptions have spatial potentialities, energy and activity implying development and growth.
8. The feeling of the easy motion of inscriptions and their vitality to transpose freely to unite the principles of unity and variation.
9. The unity of the shapes of the words or items and the variation of their use on the stone plane.
10. The symbolic meanings of the inscriptions have their aesthetical dimensions when they join the formal elements of the work of art and the human feelings.